عَتَبَـاتُ النَّصِ فِي"رِوَايـة الثَّـلاثَـةِ" لمحمد البشير الإبراهيمي*: دِرَاسَـةٌ تَـدَاوِلِيــةٌ

Paratexts in "*Riwāyah al-Thalāthah*" by Muḥammad al-Bashīr al-Ibrāhīmiy: A Pragmatic Study

Separa teks dalam "*Riwāyah al-Thalāthah*": oleh Muḥammad al-Bashīr al-Ibrāhīmiy: Satu Kajian Pragmatik

إبراهيم بن عبد الرحمن براهمي*

ملخص البحث:

تحاول هذه الدراسة –انطلاقاً من المقاربة التداولية في تحليل النصوص– أن تبرز نظام العتبات بوصفه خطاباً تداولياً تمهيدياً وتعريفياً للنص أو المتن، ويتواءم مع نسق النص الموازي له ويستدل عليه، إذ يمكن عده موقعاً تداولياً ينعقد فيها للقاء بين الكاتب والقارئ، ويتم فيه البحث عن بعض الخصائص والتحليلات التي يحملها هذا الخطاب. في "رِوَايةُ الثَّلاثَةِ" مهد المؤلف لنصه بعتبتين خطابيتين مارستا دور الإفهام والتعريف والتسهيل على المتلقي للولوج إلى نصه الأساسي؛ فالعنوان إضاءة لغوية تعبّر عن النص المتن قبل الولوج إليه، وليس من شك في أن الكاتب تعمد هذا النهج؛ فهي تعبير قصدي يحمل نية التعبير الدقيق عن مضمون الأرجوزة؛ فالعنوان لم يأتِ بصورة اعتباطية، بل يتشاكل مع النص في مضمونه ومعناه، وهو ذو ارتباط شديد بالسلوك اللغوي العام، وبالنسبة إلى المقدمة اضطلعت بمهمة تواصلية، أسهمت في فتح بعض نوافذ النص للقارئ من أجل العروج إليه، وأتاحت لهذا القارئ إمكانية واسعة في فهم النص؛ ومن ذلك: التعريف بالعمل الأدبي، وبيان المجال المعرفي للمتن وجنسه الإبداعي، وأسباب تأليف لهذا النص، والموضوع في طبيعته وأبعاده وحدوده، ووصف دينامية النص، وقصديته (الدافع إلى الكتابة) وغرضه؛ إلى جانب بعض الجوانب تشخيصية للنص المتن.

الكلمات المفتاحية : العتبات– العنوان– المقدمة– التداولية– رواية الثلاثة.

---

* أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ٨. ماي ١٩٤٥ قالمة.

Abstract:
This study is an attempt- through the pragmatic approach in text analysis- to point out the system of paratexts as an introductory and pragmatic discourse to the text which aligns, appropriate and signifies the text. It can be regarded as a pragmatic location which connect between the writer and the text. It is also a ground for finding certain features and analysis that text contains. In the work *"Riwāyah al-thalāthah"*, the writer prepared for his text two discourse thresholds that contribute to prepare and guide the readers into the real text. Hence, the title expresses the content before the real entry into the content of the text and, certainly the selection of title is a deliberate action of the writer. A title is not the result of an arbitrary action as it is related to the general linguistic behaviour. The introduction is imbued with a communicative function that intends to open up certain windows of the text to the reader in order for him / her to ascend to its world thus increasing his understanding and appreciation.

Keywords: Paratexts– title– introduction– pragmatic– *"Riwāyah al-thalāthah"*.

Abstrak:
Kajian ini cuba menjelaskan 'sistem separa teks', melalui pendekatan pragmatik dalam menganalisis teks, sebagai pengenalan dan ucapan pragmatik bagi teks yang sejajar dengan kandungan teks tersebut, di mana ia boleh dianggap sebagai lokasi pragmatik yang menghubungkan antara penulis dan pembaca. 'Sistem separa teks' juga merupakan asas dalam mendapatkan sebahagian ciri-ciri dan analisis yang dibawa oleh teks. Dalam karya *"Riwāyah al-thalāthah"*, penulis mengemukakan teksnya dengan menggunakan dua ucapan separa teks yang dapat membantunya membimbing pembaca dalam menghayati teks sebenar, manakala tajuk yang digunakan dapat memberikan gambaran tentang kandungan sesuatu teks sebelum menelaah isi kandungan teks tersebut dengan lebih lanjut. Oleh yang demikian, ternyata penulis amat bergantung kepada hal ini ketika memilih tajuk kerana tajuk melambangkan isi kandungan teks yang ingin disampaikan. Tajuk juga tidak hadir secara sembarangan, bahkan ia wujud sejajar dengan kandungan dan maksud teks dan mempunyai kaitan rapat dengan tabiat linguistik secara umum. Bahagian pengenalan sesuatu teks pula berfungsi untuk memberikan maklumat awal berkaitan teks kepada golongan pembaca supaya mereka dapat menghayati isi kandungan teks, seterusnya menambahkan kefahaman dan penghayatan terhadap yang ditelaah. Antara pengenalan yang digunakan ialah definisi tentang kerja sastera, penjelasan tentang skop bidang dan jenis penulisan, asbab penulisan, konteks dan batas tajuk-tajuk berkaitan, penerangan tentang kedinamikan penulisan, pendorong dan tujuan penulisan serta lain-lain pengenalan yang berkaitan dengan kandungan teks.

Kata kunci: Separa Teks- Tajuk- Pengenalan- Pragmatik- *"Riwāyah al-thalāthah"*.

مقدمة:

شهدت الدراسات اللسانية المعاصرة في السنوات الأخيرة اهتماماً واسعاً بنظام عتبات النصوص، يتضح لنا ذلك عبر تنوع الأبحاث وتعددها، وهذا الحشد من المصطلحات* الذي ينم عن معالجات متباينة لسانية سيميائية،

وسردية نقدية لموضوع العتبات، ولقد جاء في تعريفها عند "دومينيك مونقانو" بأنها: (النص المصاحب للمتن باصطلاحه: بكونها الملفوظات التي تحيط بالنص: العنوان، العنوان الفرعي، التقديم، الضميمة (potface) فهرس الموضوعات...الخ).[١] وهذا التعريف الذي لا يختلف فيه بعيد عن التحديدات المعجمية الأخرى ومن ذلك ما ورد عند "جون ديبوا" الذي يسحبه على مجموع ما يصحب النص الأساسي من عناصر نصية موازية متعددة،[٢] ويرصد وظيفته عبر أن النص المصاحب جعل لإجلاء حضور النص وضمان حضوره في العالم وتلقيه واستهلاكه، ويبرز أن العناية بهذه الظاهرة مرتبط بتطور الآفاق التداولية في تحليل الخطاب؛ إذ لا يمكن فصل النص عن الإطار التبليغي حيث يوطن حضوره عبر ارتباطه بهذا الإطار الذي يتغير في الزمان والمكان.

ويميز الدارسون بين النص المصاحب المؤلفي (نسبة للمؤلف) (auctorial) والنص المصاحب المتعلق بالناشر أو غيره. وما يعنينا في هذا السياق هو الأول الذي هو من صنع المؤلف (اسم المؤلف، والتصدير، والتمهيد، والإهداء، والهوامش المثبتة في أسفل الصفحات...) ويقسم جيرار جينيت النص المصاحب إلى:

١- النص الحاف (péritexte): هو النص المحيط الذي هو جزء النص المصاحب غير المنفصل عن النص (العنوان، فهرس الموضوعات...).

٢- النص الشارد (épitexte): على العكس مما تقدم يتحرك خارج النص، وقد يكون من صنع الناشر (إشهار، قائمة المنشورات...).[٣]

وبالنسبة إلى عتبات النص من منظور عربي، فمنذ أن عرفت صناعة التأليف تطورا حتى بدأ القدامى يتدبرون شكلياتها التي لا تنفصل عن عمق مضامينها ومنافعها، (فعرفوا الكتاب وميزوه عن السجل والسفر، وتكلموا في أنواع الكتابة ورتبة الخط، ومما عنوا به العنوان والختم أو الخاتم، ولعل أهم مظاهر العتبات عند العلماء قديماً ما تعلق بالمقدمة والخاتمة؛ لما لهما من خصوصيات مميزة، ولارتباطهما بأصول دينية تطورت فيما بعد لتأخذ أبعاداً فنية وبلاغية شملت إلى جانب النص القرآني كل أصناف الخطابات. فقد تقرر أن كل عمل يجب أن يفتتح بالبسملة ويختتم بالحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ρ واشترطوا في الخاتمة أن تكون حسنة جيدة بليغة هادفة؛ لأنها آخر ما يعلق بالأسماع وربما حفظت من دون غيرها لقرب العهد بها).[٥٤]

إن العتبات تتحدد جوهرياً بكونه خطاباً واصفاً متميزاً يقوم بوظيفة البعد التداولي للعمل الأدبي من جهة، ووظيفة التأثير على المتلقي من جهة ثانية، بحيث يثير فيه أسئلة تتناول الشكل والحد والموقع والزمان والمرسل والمستقبل، وإشكالية أنماط هو وظائفه وغاياته ومكوناته الجمالية والتخيلية. ومن هنا كان الخطاب المقدماتي عند ميتران مالكاً جميع خصوصيات الخطاب التثقيفي والتربوي التي تأتي على النحو الآتي:

أ.الإخبار بماهية الأدب وبكيفية خاصة عن النوع الأدبي الذي كتب لها لخطاب المقدماتي، ثم إضاءة موقعه وتسييج نظامه البلاغي.

ب.تنظيم عرض البراهين والحجج لإبراز مكامن الشعرية في العمل الشعري الذي يتناوله الخطاب المقدماتي.

ج.من سمات الخطاب المقدماتي تغييب السؤال، واقتراح أجوبة لمشاكل يعتقد أو يتوهم أنها وجدت طريقها إلى الحل في العمل الذي يتحدث عنه.

د. تحابك فن الإقناع في الخطاب المقدماتي، واستعمال العناصر الْمُصيغَة والإنجازية لتشكيل استراتيجية تعليمية.

هـ.انطلاقه من عقيدة مسبقة وسعيه إلى الإقتناع بها.

و.تحوله غالباً إلى خطاب سجالي.

ز. امتلاكه سمة ثلاثية هي: التعليمية والسجالية والتربوية، وبذلك يتلاقى مع البيان (Le Manefiste)، وتهيمن عليه صفة الاختزال والمساعدة حسب جاك دريدا (Jaques Derrida) الذي ينعته بـ"خطاب مساعدة"، و"رغبة في القول"، و"استباق خطابي"، و"تمهيد للكتاب".[٦]

والعتبات في منظور هذا الدراسة استراتيجية خطابية يمارسها الكاتب بقصد تحقيق أغراض خطابية معينة، لعل أبسطها وأقربها إلى الأفهام هو التعريف والتسهيل على المتلقي الولوج إلى نصه الأساسي. وعلى هذا قد يبدو لبعض النقاد النظر إليها من جانب أنها شكل من أشكال التعاون والتفاعل بين الكاتب مع المتلقي، وبهذه الصورة يمكن جعلها استراتيجية تضامنية تتوخى التواصل وبناء علاقة بين المخاطب والمتلقي، وقد يبدو للبعض الآخر أنها ما دامت تمارس الإفصاح، وتبين حدود ووجهة الخطاب، وتمارس دوراً توجيهياً للمتلقي للتفاعل والتجاوب؛ فيمكن أن نجعل منها استراتيجية توجيهية وهذا أيضاً أمر معقول له دلالته وحجيته وأهميته.

وفي سياق معالجة هذه المدونة "رِوَايَةُ الثَّلاثَةِ" أمام الدارس نمطان من نظام العتبات الخطابية، يبدو من الضروري الوقوف عندهما ألا وهما: "العنوان"و"المقدمة" اللذان مهد بهما الكاتب لنصه الأساسي.

– العنوان:

يعد العنوان من أهم عناصر الخطاب المقدماتي لكونه مدخلاً أساسياً في قراءة الإبداع الأدبي، ومن الجلي عن البيان أنه العتبة الأولى التي تواجه المتلقي في سيره إلى عالم النص الأساسي، فهو يُعد أول إشارة وعلامة لغوية يتلقاها في التواصل والتفاعل معه؛ إنها التخوم المجاورة للنص التي يشرف عبرها المتلقي وتكون إطلالته بها عليه. وبالوقوف عند ما ورد في معاجم اللغة العربية وتقصياً للدلالات المعجمية لكلمة العنوان، يمكن إعادتها إلى مادتي "عنن" و"عنا"،[٧] وتقسم إلى دلالات لغوية، تحوي الكلمات: ("القصد والإرادة"، "الظهور والاعتراض" و"الوسم والأثر"، ودلالات اصطلاحية وردت على شكل جمل، كما في قول ابن سيدة (ت١٠٦٦م): "العنوان سمة الكتاب". إن قول ابن سيدة يشير إلى اختصاص العنوان باللغة الكتابية لا الشفاهية، فهو يسم العمل، ويعوضه عن غياب السياق المنطوق في الكلام الشفهي، فالعنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمى العنوان علامة من الكتاب جعلت له؛ لكي تدل عليه).[٨]

وبالنسبة إلى الدلالات اللغوية، فإن محمد فكري الجزار يعتبرها حافة ذات علاقة بالدلالات الاصطلاحية، ونراه يدأب على توضيح مثل هذه العلاقة (فإن "القصد والإرادة" يرتبطان عنده بكون المرسل ينطلق من مقاصده في إرساله العنوان للمتلقي، وهذا العنوان يحمل "المرسلة" في دلاليته، وهذا الحمل هو قصد المرسل وإرادته إبلاغ المتلقي بتلقي المرسلة على مستوى الجنس والموضوع. أما "الظهور والاعتراض" فيختصان بالمستقبل، لأن العنوان هو ما يظهر له ويعترضه من العمل، إذ إنه أو لما يتلقاه من هذا العمل، مفعّلاً في ذلك معارفه الخلفية، وما يقوم به العنوان، شديد الاختصار على الصعيد اللغوي، هو تحديد هذه المعارف الخلفية. ويؤكد "الوسم والأثر" على استقلال الوسم أنطولوجيا عما يسمه، والأثر عن حامله، أي استقلال العنوان عن نصه، رغم نسبته إلى عمله أو نسبة عمله إليه).[٩]

وفي المعرفة اللسانية والنقدية الحديثة برز الاهتمام بالعنوان إجراءً لغوياً منهجياً منذ عقود، وغدا من المألوف بحث قضايا "علم العنوان" (Titroligie).[١٠] ولقد لقي الاهتمام بالعنوان رواجاً وحيزاً ضمن الدراسات التداولية والسيميائية والسردية المعاصرة. من هنا فإن مقاربة العنوان تأتي في سياق المعالجة التداولية؛ لأنها تهتمّ بتحليل مختلف إجراءات التلفظ والتواصل اللغوي، من زاوية التلقي ودور القارئ.

ولدراسة عنوان هذه المدونة "رِوَايَةُ الثَّلاثَةِ" فإن المدخل المناسب للنفاذ إلى بنياتها الصلبة ونواها الدلالية العميقة يكون بطرح العديد من الأسئلة من قبيل: لماذا هذا العنوان بالذات؟ هل تم اختياره عن قصد ونية؟ أم جاء بصورة اعتباطية؟ هل يتشاكل مع النص في مضمونه ومعناه؟ ما الصلات التي تربط العنوان بالسلوك اللغوي العام؟

من المهم أن نضع في الحسبان أن اختيار هذا العنوان من قبل الكاتب لا ينفك أن يأتي في سياق التكوين المعرفي والثقافي له، والذي نلمسه في ثقافة المرسل وتكوينها لإبداعي وتصوره له —الذي يحكمه التشبع بالموروث العربي الإسلامي والميل إلى القديم– وعلى هذا الأساس فلا يجب أن يحمّل أكثر مما يطيق؛ مما تزخر به المعرفة الإبداعية واللغوية المعاصرة التي يشترك فيها المرسل والمتلقي على السواء، وليس ذلك انتقاصاً من قيمته وأهميته، بل توخياً لفعل قرائي صادق لا يسعى إلى ممارسة ليّ العنوان.

ولاستجلاء حقيقة هذا العنوان، حري البدء بوصفه لغوياً؛ برصد المعاني المعجمية والسياقية التي تحملها المفردتان؛ ونتوقف بداية عند دلالة لفظة "رواية" في الاستعمال اللغوي العربي، وأشكال حضورها في الثقافة العربية والإسلامية، فقبل أن تكتسب اللفظة دلالتها التصنيفية العصرية وتصبح بظلالها المألوفة حاملة عنوان جنس أدبي طاغٍ في الواقع الأدبي العالمي. فمن المعلوم أن اللفظة لها حيز وجود فاعل في المجتمع العربي الإسلامي، في صورة تناقل الموروث الحضاري شعراً ونثراً مشافهة وحكياً وقصاً وفي تداوله وشيوعه بين المتخاطبين دون الحاجة إلى التدوين أو الكتابة؛ إذ لم يكن العربي ليعبأ كثيراً بالقراءة والكتابة إلى وقت متقدم بعد مجيء الإسلام وترغيبه في فعل القراءة، فقد ظلت من العادة أن تروى الأخبار وتحكى مشافهة؛ وتختزن الذاكرة الشعبية أروع الحكايا بهذا النهج والأسلوب وتضفي عليه من طابع التشويق والإثارة في السرد ما يجعل المخاطب يتلهف إلى سماع هذه

الرواية؛ فالرواية فعل خطابي يحمل من عناصر قوة الجذب والفعالية ما يدفع المتلقي إلى التشوف والتطلع إليه. وهذا جانب متمم ومكمل لما تحمله الكلمة من معانٍ إذا عدنا إلى جذرها اللغوي الذي يتأسس حضورها في المعاجم من مادة "روي"؛ والتي تشير إلى تناقل الكلام، واستظهاره، وذكره تواتراً وحكاية، قد يكون قصد الإبراهيمي يعني به جوهر النص الشعري الذي يطغى عليه الطابع السردي الحكائي؛ وليس هذا الفعل التحليلي للفظة إلا بحثاً عن المعنى الشعري الكامن المضمر فينفس الشاعر الذي مع ما يحمل من تسطيح تعيده إلى الدرجة الصفر — أي المعنى المعجمي – الذي يسعى الشاعر إلى الانفصال عنه، وعدم التقييد به دائماً في العملية الإبداعية. فهل كان قصد البشير وهو ينجز فعلاً تواصلياً مع المتلقي أن يرسم في ذهنه هذه الصورة ويحقق هذا البعد الخطابي التداولي وهو يريد أن يدع القارئ ويدفعه إلى الولوج إلى نص خطابه؟

ليس يعني أي شيء تقديم الجواب؛ ولم تكتمل بعد صورة التحليل للعنوان ولا حتى للمفردة التي تبدو في بنيتها مصدرا على وزن فعالة والذي يدل على ممارسة حرفة أو صناعة، وهو المعنى الذي تبين وما سبق من أن الرواية فعل لغوي سلوكي كريم في المجتمع العربي يمارسه من أوتي قدراً من التبجيل والاحترام الاجتماعي، يتحمل صاحبه المشاق كي يروي ويذكر أروع الكلام —رواة اللغة والشعر والحديث مثلاً— فينال به الدراية والمكانة، فيقبل عليه القوم سماعاً وإمتاعاً. إذاً هناك تقاطع بين الأدبية والاجتماعية في هذا الاختيار اللغوي الأسلوبي للمفردة من قبل الكاتب، وليس اعتباطاً أن هذه اللفظة في هذا العنوان وبهذه الصورة، ويبقى أمامنا أمر آخر هو أن لفظة "رواية" جاءت في تركيب إضافي احتلت فيه موقع المضاف فهي غير مكتملة ومستقلة تركيبياً فاحتاجت إلى ما يوضحها ويتمم معناها.

وبالانتقال إلى المفردة الثانية "الثلاثة" نجد أن فعل الرواية قد أسند إلى هذا العدد، ومن الملاحظ أن هذا العدد لا يحمل أي بعد رمزي في ذاته بالنظر إلى بعده التداولي بين المتخاطبين، فلو افترضنا الرقم "٢" أو "٦" أو"٧" أو "١٦" لأمكننا التنقيب والبحث والقول بالدلالات الاجتماعية التداولية لهذه الأعداد في الثقافة العربية عموما أو الجزائرية خصوصاً؛ لما تكتسبه من إيحاءات قدسية طقسية رمزية. ومع هذا فإن هذا العدد لم يوضع بارقة للكلام اعتباطاً، إنما هو مرتبط بالنص الأساسي ارتباطاً وثيقاً؛ ومستوحاً من النص المتن كما سيتبين لاحقاً؛ معبراً عن الشخصيات الثلاث التي تتبادل الأدوار؛ وهم محور هذا العمل الإبداعي الشعري، واعتماداً على هذا التحديد تنهض علاقة المفردة أو العنوان بالنص المتن على أساس التضمن المتبادل؛ وفي مدار هذه العلاقة فإن المفردة تعبير كنائي عن جزء من كل، ويسمح التحدث به باستحضار هذا الكل. (وبهذا المعنى يفترض في العنوان ككل الاشتمال على عناصر الخطاب المكنى عنه، يتبدى النص الأساسي جواباً... عن الأسئلة الطافحة في مفردات جملة العنوان. وتشغيلها بما يضمن عدم إرباك العلائق الوظيفية بين المكنى والمكنى عنه).[١١]

رأينافي ضوء ما ذكر آنفاً أن دلالة العنوان تؤشر على جانبين اثنين، وهما:

البعد **الأول** التواصلي، ويكون عبر المفردة الأولى التي تكتنز خلفها معطى تداولياً كبيراً في ثقافة وتكوين المرسل أو الكاتب، فالسعي إلى التفاعل الإيجابي والتأثير هو الذي دعاه إلى هذا الاختيار الأسلوبي دون سواه، وهذا النظر في أحد مستويات اللغوية للعنوان يعني حضور خاصية الطابع الحجاجي له؛ مادامت هناك قصدية الاستمالة والتأثير في المتلقي القارئ.

والبعد **الثاني** لهذا العنوان دلالة خاصة؛ لأنه يمثل مجموع النص المتن، ويحاول أن يجمل كل علائقه، ويعبر عن كل مكوناته، ويلخص مجمل موضوعاته حيث ندرك هذا مع المفردة الثانية في التركيب الظاهر المتحقق؛ فالعنوان تجلي صريح وإضاءة لغوية تعبر عن النص المتن قبل الولوج إليه. وليس من شك في أن الكاتب تعمد هذا النهج، وأنه من زاوية أخرى قد أفرغ جهد طاقته الإبداعية في صياغة هذه العتبة التي تبدو بالنسبة إليه الأفضل في الوصول إلى نفس المتلقي وعقله.

نحوياً وتركيبياً يبدو العنوان في صورة عدم الاكتمال، ولا يلقى المتلقي أي عنت وصعوبة في إدراك معناه مكتملاً، فمن قواعد استعمال اللغة لدى أبناء الجماعة اللغوية الواحدة أو المتعددة قيامه على الاقتصاد اللغوي؛ إذ ليس من حاجة مثلاً إلى التصريح وتحقيق العناصر الإشارية سواء كانت: مكانية أو زمانية، شخصية أو جماعية. في بنائه وتركيبه اللغوي؛ مما يعني أن هناك افتراضا مسبقا بين المرسل والمتلقي هو الذي يؤسس للعناصر المضمرة في سياق التخاطب، ويتم التأسيس للعناصر الغائبة غير المتحققة بالاعتماد على الكفائتين اللغوية والتداولية التي يمتلكها المتلقي والمرسل على سواء وبدرجات متفاوتة على هذا يمكننا أن نتساءل: ما الذي ينشأ من تعالق العناصر الظاهرة المتحققة؟ ثم ما وجه الحذف والإضمار في العنوان؟ وبشكل أدق ما العناصر التي أضمرت؟ وما دلالات ذلك في الاستعمال اللغوي؟ ثم بعد ذلك كله ما القوة الإنجازية الأدائية التي يمكن أن يحملها العنوان؟

يبدو العنوان في ظاهره – أي في بنيته السطحية – متكون من:

مركب اسمي = اسم (مضاف) + اسم (مضاف إليه)

- يخلو من المكونات الفعلية الأدائية المنجزة التي لا تطفو إلى السطح، ولكن تبدو في قصدية المرسل/الكاتب وتستلزم حواراً بينه وبين المتلقي دون الحاجة إلى التصريح، والمكونات الإشارية المشخصة والمحددة للخطاب وتحيينه زمانياً ومكانياً، وهي عناصر تلخص في (الأنا، الهنا، الآن)؛ وعليه فإن –العنوان– الملفوظ:

رواية الثلاثة

التي تعد بنية سطحية تتضمن الضمائر الموجود فيما يسمى بالبنية الضمنية أو العميقة:

أنا أقول لك (لكم) أنت (أنتم) هذه رواية الثلاثة الآن هنا

مع ملاحظة متأنية لهذا الملفوظ نجد أن هناك فعلاً إنجازياً غير مباشر تضمنه العنوان وهو الذي يقصده الكاتب، ويتم إدراك هذا الفعل غير المباشر بالاعتماد على ما يسميه سيرل بـ: "استراتيجية الاستنتاج (inference

(strategy)".[١٢] ولعل قوة العنوان وقيمته إنما تستمد من هذا المعطى اللساني، وبالنظر إلى الإشاريات فالملاحظ أن كفاية المتكلم تحتفظ بها؛ لأنها لا تسمح بالتكرار، كما لا تسمح إلا بإنجاز ما هو ضروري لقيام عملية التواصل، فهنا كإشاريات صريحة هي التي نظهرها في الملفوظ فتطفو على السطح، وإشاريات ضمنية نحتفظ بها مضمرة في الكفاية الإبلاغية بين المتخاطبين.

وانطلاقاً من التقسيمات المنهجية للعنوان؛ فإن تحديد نمط هذا العنوان وخصائصه يكون بالنظر إلى سياقه الداخلي والخارجي؛ وعليه يمكن تأطيره بأن "العنوان الرئيس" ووفق هذا التصور، يجمع بين ثلاثة مكونات رئيسة: كلاسيكي، تراثي، واقعي؛ فالمكون الأول وصف يتأسس انطلاقاً من السياق الإبداعي الذي أنتج فيه الملفوظ – أو مما عرفت به المرحلة الأدبية للكاتب-؛ أما المعطى الوصفي الثاني فاستنتاجه كان بناءً على طبيعة الملفوظ وسياقه الداخلي الذي لا يفارق فيه النمط التراثي الذي تشبع بها لكاتب؛ أما التصنيف الثالث فكان بناءً على أن الكاتب لم يلجأ إلى التعبير الاستعاري الرمزي للغة، بل يقوم على الوصف والمطابقة الدلالية مع الواقع، أما بالنسبة إلى الخصائص التي اتسم بها هذا العنوان فهي كثيرة ومن ذلك:

- الاختصار والوضوح
- ارتباط العنوان بالنص مباشرة
- الاشتمال على مكونات العمل ودلالاته ومقاصده
- تكثيف المعنى في كلمات معدودة
- الطابع الحجاجي (الإقناع والإثارة وجلب انتباه القارئ)
- التلخيص الاستباقي

أما الوظائف التي يمكن أن يؤديها هذا العنوان ونقرأها فيه؛ فهي ثلاث وظائف تتفاوت في درجة حضورها فيما بينها قوة وضعفاً وهي على التوالي: الإيحاء والوصف والتعيين. إجمالاً فإن هذا العنوان يعد جزءاً من المبنى الاستراتيجي للنص الذي استطاع الكاتب أن يمارس به سلطته الخطابية عبر حدث الارتباط التفاعلي بين هو النص المتن؛ إذ إنه يشكل علامة تداولية مركزية وحجر زاوية له.

ومن نافلة القول في نهاية تحليل هذه العتبة أن العنوان "رواية الثلاثة" تعبير قصدي يحمل نية التعبير الدقيق عن مضمون الأرجوزة؛ فهو لم يأتِ بصورة اعتباطية، بل يتشاكل مع النص في مضمونه ومعناه، وهو ذو ارتباط شديد بالسلوك اللغوي العام؛ أي الواقع الثقافي والاجتماعي للمؤلف الذي يمجد فعل الرواية والحكي.

– ***المقدمة*** *(Preface)*: ترد كلمة مقدمة في المعاجم العربية ضمن مادة "قَدِمَ" بمعنى أول الشيء وصدره،[***] وهي إلى ذلك متداخلة مع مصطلحات أخرى؛ كالتمهيد، والمدخل، والتصدير، والفاتحة، والاستهلال، والخطبة ولا نجد فروقا حاسمة بينها، فيما عدا بعض الاستعمالات التي تبدو كأنها مختصة بحقل معرفي ما؛ ومن ذلك "الفاتحة" الذي يكاد يختص بالدراسات القرآنية؛ إذ نسمعهم يقولون: "فواتح السور" ويعنون بها أوائل السور، وأم

الكتاب يقال لها فاتحة القرآن.[١٣] وحين تعرضها لتعريف المقدمة تفرق المعاجم الاصطلاحية العربية بين مستويين في المقدمة: مقدمة يمكن تسميتها بمقدمة علم، وأخرى نسميها مقدمة التأليف (علماً أن إمكانية تحول المقدمة الثانية إلى المستوى الأول واردة باستمرار) فالأولى يمكن أن نمثل لها بكتاب ابن خلدون "المقدمة" الذي هو في الأصل جهاز نظري قد يكون سابقاً أو لاحقاً لكتاب العبر –كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر–. ونمثل لها كذلك بالمقدمات الفلسفية التي تعرفها الموسوعة الفلسفية بالآتي: (مقدمة قصيرة لبعض العلوم موضوعها تعرف مبدئي على مضامين هذا العلم ومشكلاته ومنهج بحثه، وتعد "مقدمة" إلى كل ميتافيزيقيا تريد أن تصبح علماً "التي كتبها كانط مقدمة لكتابه "نقد العقل الخالص "وهي في الحقيقة تلخيص قصير لهذا المؤلف، أما مقدمة التأليف فهي كل نص سابق عن متنه أو لاحق له قصد تقديمه للقارئ ومده بمنهج صاحبه وخطته في التأليف وقصده منه، وكثيراً ما تدخل في علاقة مع المتن المقدم له).[١٤]

وفي المعرفة المعاصرة بدا أن المقدمة هي جزء من نظام معرفي عام تعرفنا إليه في البدء بـ: "عتبات النص (paratexte)". وقد رأى بعض الدارسين نفي خطاب المقدمات (Discours Prefaciel) خطاباً متميزاً في نوعية كتابته وتشكله ووظائفه، فجيرار جينيت يعتبر أن "المقدمة" (PREFACE) كل نص تمهيدي يسبق النص المركزي– وقد يأتي بعده (POSTFACE) ينتسب للمؤلف (PREFACE AUCTORIAL) أو لغيره (Preface Allographe). إن هذا الخطاب المنتج بصدد النص يتميز بطبيعته الزمنية المزدوجة تتسم بالاستباقية والاستعادية في الآن نفسه، هي استباقية؛ لأنها تسبق كتابة النص المزمع قراءته، واستعادية؛ لأنها تعيد قراءة النص المكتوب ولا تعود هذه المراوحة بين الكتابة والقراءة في نص المقدمة إلا إلى المهام الكبرى التي يسندها إليها الكتاب وتعوض حضورهما لعيني أمام القراء. وتتلخص هذه المهام الكبرى أو الوظائف التي تضطلع بها المقدمات في ما يسميه جيرار جنيت بـ: "القراءة الجيدة للنص "كقاعدة أساس يعترف إزاءها بتعقدها وتشعبها على الرغم من بساطتها الظاهرة، إذ يمكن تقسيمها إلى قسمين هما: ضمان قراءة النص **أولاً**، وتأمين أن تكون هذه القراءة جيدة **ثانياً**، ولا يقف التقسيم عند هذا الحد إذ يمكن تشطير هاتين الوظيفتين إلى وظائف "صغرى" تضطلع بالمهام الآتية: حماية النص من سوء الفهم، قيادة المتلقي نحو القراءة المؤدية إلى الفهم السليم، إقصاء التأويلات البعيدة وغير الملائمة.[١٥]

فالمقدمة إذاً من الوحدات الدالة تواصلياً المشكلة لتداولية الخطاب، وإذا أخذنا بـ: "مبدأ الإبراز التداولي" (Principle of pragmatics) الذي يأخذ الصياغة الآتية: (تتموقع المكونات الحاملة لوظائف تداولية خاصة (محور، بؤرة) في مواقع خاصة تشمل على الأقل الموقع الصدر ويقتضي المبدأ أن تحتل المكونات مواقع أخرى غير مواقعها العادية لأسباب تداولية.)،[١٦] وبالطبع فإن هذا المكون قد تكون حدوده الجملة، وقد يكون على صعيد الخطاب، وهو المراد هنا. فالمقدمة بموقعها في المنظور التداولي حاملة لوظائف تداولية؛ وتعد نوعا من التعاقد

الضمني والصريح بين المؤلف والقارئ الذي ينشأ بينهما من منطلق حرص الكاتب على فهم قصدية خطابه، وممارسة المحاججة والإقناعيه؛ وتطلع المتلقي أو القارئ إلى التفاعل والتجاوب معه بصورة جيدة؛ من هنا تنبع أهمية مقاربتها تداولياً في معالجة وتحليل النصوص؛ فإذا كان العنوان مثلاً موجها إلى عموم جمهور المتلقين، وكافة القراء، فإن المقدمة تقصد المتلقي الراغب في الاقتراب أكثر من النص المركزي أو الأصلي، ذلك أنها لما يجب أن يطالعه القارئ قبل الولوج إلى عالم النص. وإذا كان بعض القراء يقصدون النص المركزي مباشرة على أساس أنه الأهم والأجدى، فإن هذا التجاوز غير المبرر يجعل القارئ لا يتعرف منذ البداية على ما يريد الكاتب تعريفه به قبل الشروع في عملية القراءة؛ فالمقدمة صرح ومبنى يحتل موقعاً استراتيجياً لتشييد علاقة متينة من التواصل والتفاعل مع الخطاب؛ لأجل ذلك كان اهتمام العلماء العرب بالمقدمات وحسن تدبيجها؛ فلا يخلو مؤلف من "خطبة الكتاب" التي يجد فيها القارئ بهاء ودقة التعبير وحسن وجمال الصياغة.[١٧]

والتقديم للنصوص يحتمل ثلاث فرضيات، فإما أن تكون المقدمة تقريظية تجارية إشهارية لا تضيف إلى العمل شيئاً، وإما أن تكون نقدية تقيم حواراً مع العمل لتحقيق فائدة خاصة، وإما أن تكون نصاً موازياً للنص وتكون مستقلة عنه تماماً. وعموما فالمقدمة تحمل سلطة توجيه لقراءة العمل كما أنها تطرح تصورات المؤلف وغاياته من التأليف وتكشف عن مقصده. ومن هنا فهي تعتبر نوعاً منا لتقييد للنص وللمتلقي في آن واحد، أما إن جاءت المقدمة تطرح تساؤلات واستفسارات وتحيل إلى قضايا ثم تترك الإجابة عنها مفتوحة فتحيلها إلى النص؛ ليجيب عليها. هنا تعتبر المقدمة إسهاماً في حركية العمل فيأتي النص مشروعاً أو توضيحاً أو اقتراحاً أو أطروحة أو إحالة مما يحقق ثراءها وعمقها.[١٨]

والبشير الإبراهيمي من الكتاب الذين أولوا عنايتهم البالغة توطئة مدوناتهم الخطابية بالمقدمة؛ سعياً إلى تقديم الجواب عما قد يكتنف أعماله من غموض أو عدم فهم. فالاحتراز من هاجس عدم الفهم والإساءة إلى عمله هو الذي يفسر هذا الاهتمام بها وكم من كاتب وأديب ظلم وذهب ضحية سوء فهم كتاباته! ومديد المساعدة للمتلقي في فك شفرات النص الغامضة. والذي يستنتج أن الشيخ يعد المتلقي القطب الأساس في العملية التواصلية الإبداعية، ومن أجله يجب التفكير في كل مكوناتها وسبل إيضاحها. ومن هذا المنطلق وحرصاً على تواصل إيجابي فعال مع مخاطبه أو قارئه ارتأى المؤلف أن يقدم لنصه الإبداعي "رِوَايَةُ الثَّلاثَةِ" بخطبة تتصدر هل تمتد في فضاء مكاني على ستة صفحات. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار هذه المقدمة التي كتبها مدخلاً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنها للولوج للنص المركزي؛ ونوعاً من التوضيح والتدقيق لوجهات النظر التي ينطلق منها في إبداعه، وتوضيحاً لرؤاه الفكرية والفنية الإنسانية التي يلح على ألا يساء فهمها أو يتم تحريف عن مسارها الحقيقي. ولأن المقدمة في العمل الإبداعي موجهة لأولئك المخاطبين الذين يبحثون عن ذائقة فنية وجمالية أو هم متشبعون بها فإنها تعينهم على تحقيق رغبتهم في ذلك.

لقد برع الإبراهيمي في رسم خط أفق تواصل بينه وبين القارئ بأن ضمن مقدمته ما قد يخطر على باله من استفسارات وتساؤلات، ولعل الوصف الذي نستهل به النظر في هذه المقدمة هو أنها تقريظية –أي في جانب كبير منها هي إبراز للمحاسن التي يتصف بها النص المتن– تحاول إبداء موقف في مجال تحليل النص أو المتن، وإضاءته مستلهمة أساليب القدامى في الصياغة والتعبير. وينضاف إلى ذلك أن استخدام هذه اللغة الأدائية المثقلة بالتعابير الاستعارية المضيئة بنور المحسنات اللفظية والمعنوية نرى فيها نوعاً من التماهي والتماثل والسياق اللغوي الإبداعي الذي رسخ في الذاكرة الإبداعية العربية التي تحاول قريحة الشيخ أن تسلكها استنساخاً واستلهاماً؛ تحت طائل تحقيق التفاعل والتأثير والإقناع الحسن لجمهور المتلقين. وربما اكتسى ذلك طابعاً دلالياً؛ فعكس ما هو سائد في واقعها لأدبي المحتفي بهذا النمط من الكتابة، وقد ظل الأديب العربي إلى وقت متأخر من القرن الماضي شديد الكلف مفتوناً بأساليب القدامى ونهجهم في التأليف. فالسياق الخارجي للنص هو الذي رسم شكل الخطاب، وهذا ما يمنح هذا الخطاب حجيته في الاستشهاد به، مع التعويل على الاقتراب من النص المتن. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا السياق: كيف جاءت هذه المقدمة؟ وبصيغة أخرى ما المحاور والدعائم الكبرى التي نهضت عليها هذه المقدمة؟ وما الوظائف التي يمكن أن تؤديها في بيان صورة المتن؟

تعد هذه المقدمة استراتيجية تمثيل وتمثل للنص المتن، حيث إنها عالم مصغر ممثل للنص المتن، والعلاقة الماثلة بينهما هي علاقة إجمال وتكامل، وذلك ما تنبؤ عنه مضامينها؛ فقد انطلقت في طياتها من هدف خطابي هو تقديم ووضع أجوبة مرجعية للمتلقي قبل أن يدلف إلى النص، أما البعد الوظائفي الذي يدفع المرسل إلى الاشتغال باللغة واستعمالها بصورة ما، فإنه يبدو عند الشيخ في هذا النص منطلقاً من الوظيفة التواصلية التفاعلية التي أملت عليه هذا التقديم؛ تحديداً وتصوراً واستراتيجية؛ وتبرز هذه الوظيفة عبر رغبة الشيخ/المرسل في تحقيق أمور عدة من مقدمته نجمل منها ما يأتي:

– التعريف بعنوان العمل الأدبي –والذي ورد أيضاً في أعلى الصفحة الأولى وبخط مميز، ولم يكن هناك ذكر للمقدمة عنواناً– وقد جاء في أو لعبارة التقديم (هذه –أَكْرَمَكَ اللهُ– رِوَايةُ الثلاثةِ...)،[١٩] ولعل في استهلاله لمقدمته بهذه العبارة التي تشير من جانب إلى النص المتن بالضمير الإشاري "هذه" المزيل للإبهام المحدد لوجهة الخطاب فيما سيأتي من كلام، وكاف الخطاب التي تجعل من المرسل في تناظر وتقابل تام مع المخاطب. ومن جانب آخر تشير العبارة السابقة إلى المتلقي بصيغة تحمل معنى التقدير والتبجيل والاحترام، ولنا أن نتأمل ما تتركه مثل هذه العبارات من آثار نفسية إيجابية في عملية التفاعل والتواصل بين المرسل والمتلقي؛ إذ يمكننا بها أن نخلع على شخص المرسل سمة الهيبة الوقار، إذ لا تصدر مثل هذه العبارات إلا من كبير حكيم في نفسه ومع غيره، وهو الإحساس المضمر الذي تعمل العبارة على تسويقه عنه، فضلا عما تمارسه من كسر حواجز الرهبة والخوف بينهما، أو عدم الفهم فيما يذهب إليه. فالأفعال التعبيرية –المتوخية الإنجازية في معناها ومرماها في منظور

الاستعمال اللغوي تتوخى مثل هذه المقاصد —التي تؤشر على مبدأ الإخلاص– والمضمرة في نفس المرسل، وهو مما يؤكد من جانب آخر حضور المتلقي في نفسه وحرصه على فهم خطابه على ما تقدم.

– ورود ذكر اسم المؤلف في آخر التقديم؛ وهو أمر يتباين فيه الكتاب إلى يومنا هذا؛ إذ هناك من يفضل أن يرد اسمه في يمين الصفحة الأولى أدنى عنوان المقدمة مباشرة؛ ولا غرو أن ذلك يحمل بعداً خطابياً تداولياً، وهو تثبيت بصمة تعريفية تأثيرية في نفس المتلقي أو القارئ؛ خاصةً إذا كان الكاتب من المشهورين المعدودين المعلومين لدى العامة والخاصة من الناس. غير أن الشيخ في هذا النهج لم يفارق سبيل الكتاب والأدباء العرب القدامى، فضلا عن هذا التفسير، فإنه يبرز أيضاً — على ما نعلم من شخصية المرسل المتواضعة.

– بيان تعريفي بالمجال المعرفي للمتن وجنسه الإبداعي وهو الأمر الذي استهلال مرسل بتوضيحه في أو لفقرة من تقديمه (... وهي أُرجُوزةٌ، أكثرها "لزوم ما لا يلزم")[٢٠] ولم يهتم بالتوسع أكثر من ذلك في تحديده، بل يعود لاحقاً وفي موضع آخر من نفس الصفحة ليصفها بقوله: (هذه الأرجوزة الطويلة) لإظهار كينونتها وحقيقتها.

– أسباب تأليف نص رواية الثلاثة: وهو ما أوضحه الكاتب على امتداد الصفحتين الأولى والثانية. إذ حكي أمر هؤلاء الثلاثة وشأنهم مع شيخهم ومما جاء فيها: (...تمثل حالة ثلاثة من الأساتذة لا يدفعون عن فضل ولا أدب ولا ذكاء وما فيهم إلا بعيد الأثر في الحركة الإصلاحية، واسعا لخطى في ميدان تعليم الناشئة وتربيتها... وكان لهم شيخ يقارضونه براً ببر، وتكرمة بتكرمة، وكان لهم كالوالد يأبوهم...) ثم يستمر في إبراز العلاقة التي كانت تربط هؤلاء الأساتذة الثلاثة بشيخهم وما يحكمها من روابط متينة، وما يتفضل به عليهم من المعارف وغرر الحكم... إلى قوله (ثم طرق الدهر بحادث حال بينهم وبينه وبين الناس...) حيث يظهر ما حلَّ بشيخهم من مصاب وما كان ينتظره منهم من وفاء وإخلاص تظهره على الأقل رسائل تصله منهم؛ تخفف عنه ألم الوحدة والفرقة عنهم لكنه مبدل ذلك نسوه؛ يصف ذلك بقول بليغ في نفس الصفحة (ولكنهم بدلاً من ذلك نسوه، وكأنهم التراب دسوه، وقطعوا حبل الاتصال الكتابي به البتة)،[٢١] وهو ما دعاه إلى أن يؤلف هذه الأرجوزة واصفاً حالهم، وأمرهم في عدم مراسلة شيخهم.

– الموضوع طبيعته وأبعاد هو حدوده: إن الهدف من معالجته للنص المركزي وبيان مدى أهميته بالنسبة إليه؛ هو بيان سر عدم مراسلة الشيخ، وهو يوضح حيثياته وبشكل مجمل في الصفحتين الثانية والثالثة، ومما ورد: (كانت الفكرة التي بنيت عليها الرواية أنه لا سبب لانقطاع الثلاثة وجفائهم للشيخ إلا الفرنك، أعني قيمة طابع البريد الذي يحمل الرسالة إليه، وهو لا يطمع منهم في أكثر من هذه الصلة، وهو في محنته التي هو بها أحوج إلى المقويات الروحية منه إلى المقويات المادية، وكان يبلغه عنهم ما يعتقده فيهم وهو أنهم يكثرون في مجالسهم —وهم بحكم وظيفتهم مجتمعون دائماً– الحديث عنه والشوق إليه، ويضيقون ذرعاً بالرسالة منه تأتي لغيرهم)،[٢٢] وكان أول من تفطن إلى ذلك مديرهم، ومع شعوره بالخزي والعار الذي لحق بهم قرر أن يلتقي ويجتمع بالأستاذين لأجل

غسله مشتركين، يكتب المدير إلى رفيقيه استدعاء للحضور والتشاور في هذا الأمر الهام ويعقدون ثلاث جلسات تنتهي بالفصل فيه.

– وصف دينامية النص: ويقصد بهذا وصف حركية وسيرورة النص من البداية وحتى المنتهى؛ حيث رسم للمتلقي صورة سير الأحداث في تطورها وتناميها؛ وهو ما تضمنتها الصفحتان الثالثة والرابعة؛ حيث يتتبع سير الأحداث من إرسال المدير الاستدعاء إلى الأستاذين وتوجسهم من ذلك وردة فعلهم، وانعقاد الجلسات الثلاث وما دار فيها من تفاوض ومرافعة بينهم حول الأمر الذي جمعهم من أجله ومن يفصل فيما احتكموا إليه.

– القصدية (الدافع إلى الكتابة): يفصح المؤلِّف في آخر مقدمته عن دافعه من تأليف هذا العمل، إذ أراد بها كما قال: (داعبنا بهذه الرواية، ثلاثة أساتذة، هم لنا أبناء، وهم فيما بينهم إخوة كلهم أدباء، فعسى أن تكون حافزة لهم لهممهم في التدريب على هذا النوع الراقي من الأدب الهزلي...)،[٢٣] فالقصدية البارزة هي إبداعية فنية محضة؛ وهو حثهم على الاشتغال بمثل هذا النمط الشعري، والناظر في السياق الخارجي للنص يمكنه أن يضيف جوانب أخرى غير خفية أعود إليها فيغير هذا الموضع.

– الغرض: لعل الغرض الأساسي الذي دعا الكاتب إلى بناء هذا النص وتوجيه هذا الخطاب أن يحاكي به صنيع القدامى وبعض المحدثين بإنجازه لهذا العمل؛ ولربما لم يفارق خياله وهو ينسج خيوطه بعض النماذج الخطابية الأدبية وهو يصرح بذلك في بعض قوله: (...فحول البيان، مثل رقم الحلل لابن الخطيب، ودول الإسلام لشوقي، وما رأيت قوماً طاع لهم الرجز وانقاد كعلماء شنقيط، مع السهولة عليهم في النظم، ومتانة في السبك...).[٢٤]

ولعل أهم بُعد كشفه الكاتب وباح به في هذه المقدمة هو الطابع الواقعي لخطابه، فشخوص عمله واقعيون ولم يخترعهم أو ينسجهم من محض خياله، وإن بدا أنه قد تخيل سير أحداث عمله تخيلاً، فإن الشخصيات هم ممن عرفهم وصحبهم وخبرهم في مجال اشتغاله بالتعليم وتربية الناشئة؛ وقد ذكرهم بالاسم والوظيفة تعريفاً: (والثلاثة هم: الشيخ السعيد بن حافظ مدير مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة، والأستاذان: عبد الحفيظ الجنان، ومحمد بن العابد (الجلالي)، المعلمان بها، وشيخهم هو مؤلف الرواية).[٢٥] ونراه بعد ذلك يهتم برسم ملامح كل منهم بإبراز مظاهر كل واحد منهم في عنوان فرعي، وهو: "مظاهر الأبطال الثلاثة في الرواية" استهله بقوله: (لكل واحد من الثلاثة مظهر، ظهر به في جميع مواقف الرواية، تحقيقاً لشخصيته فيها، ويستطيع المحلل للرواية، أن يستخرج مناحي...).[٢٦]

– جوانب تشخيصية للنص المتن من قبل الكاتب قصد عبرها التبرير للنهج الكتابي الذي سلكه والأسلوب الذي اعتمده فيها، والذي يصفه قائلاً: (أما أسلوبها فهو سهل منسجم، متلاحم النسج، متين التركيب، فصيح المفردات، ليس فيه تكلف، ولا ركوب الضرورات، التي ألف الراجزون ركوبها، بريء من التكلف والحشو الذي ألفوا

أن يختموا به الأبيات، ضعفاً منهم، وضيق عطن في العربية وقصر باع في مفرداتها وتراكيبها...)،[٢٧]ويضيف في موضع آخر: (...وفيها كثير من أنواع التجنيس، وكلها من النوع العالي، المتمكن لفظه ومعناه البريء من التكلف، وإنما هو من استرسال الطبع، وقوة الأسر، وروح الملكة في العربية، وفيها أبيات مستقلة بمعانيها، تجري مجرى الأمثال، وفيها طائفة من الألفاظ الغريبة، التي لم يألف الكتاب والشعراء استخدامها، وحبذا لو استعملوها وأكثروا منها،فإنها زيادة في ثراء اللغة وتوسيع لها...).[٢٨]

والذين خلص إليه حول خطاب المقدمة عند الشيخ البشير الإبراهيمي أنه يتأسس انطلاقاً من مصطلحين مركزيين لهما منظورهما اللساني التداولي، وهما:[٢٩]

- مبدأ الملائمة: إذ بدت المقدمة في بنائها وأبعادها التواصلية جهازاً لغوياً إجرائياً فاعلاً في حضوره؛ يتواءم ويتلاءم مع النص المتن غير منفصل عنه.
- التكامل المعرفي: الذي مكننا من تحديد عناصر مكونة ومنظمة تضطلع بدور الهادي لمستعمل هذا الخطاب والواقف على جوانبه المختلفة قراءة عابرة أو دراسة وتحليلاً؛ فليس عجباً إذاً أن تحتل المقدمة هذا الحيز، وهذا الفضاء المكاني التداولي في الخطاب.

الخاتمة:

يمكن أن نخلص في الختام إلى أن نظام العتبات أو الخطاب المقدماتي هو خطاب تداولي؛ استباقي، ابتدائي، تمهيدي، تعريفي، إضائي؛ للنص أو المتن؛ قد يتواءم مع نسق النص الموازي له ويستدل عليه، ويمكن اعتباره موقعاً تداولياً ينعقد فيها للقاء بين الكاتب والقارئ، ويتم فيه البحث عن بعض الخصائص والتحليلات التي يحملها هذا الخطاب.

١- في "رِوَايةُ الثَّلاثةِ" مهد المؤلف لنصه بعتبتين خطابيتين مارستا دور الإفهام والتعريف والتسهيل على المتلقي الولوج إلى نصه الأساسي.

٢- فالعنوان إضاءة لغوية تعبر عن النص المتن قبل الولوج إليه، وليس من شك في أن الكاتب تعمد هذا النهج؛ فهي تعبير قصدي يحمل نية التعبير الدقيق عن مضمون الأرجوزة؛ فالعنوان لم يأتِ بصورة اعتباطية، بل يتشاكل مع النص في مضمونه ومعناه، وهو ذو ارتباط شديد بالسلوك اللغوي العام.

٣- اضطلعت المقدمة بمهمة تواصلية، أسهمت في فتح بعض نوافذ النص للقارئ من أجل العروج إليه، فكانت جواز مرور نحو عالم النص، أتاحت لهذا القارئ إمكانية واسعة في القبض على خيوط النص، ومن ذلك: التعريف بالعمل الأدبي، وبيان المجال المعرفي للمتن وجنسه الإبداعي، وأسباب تأليف النص، وطبيعة الموضوع وأبعاده وحدوده، ووصف دينامية النص، وقصديته (الدافع إلى الكتابة) وغرضه.

هوامش البحث:

* – نص"رِوَايَةُ الثَّلاثَةِ" أرجوزة في ٨٧٢ بيتاً (جاءت في ٥٠ صفحة من ص٥٩ إلى ص١٠٩ من المجلد الثاني للآثار)؛ هي في بنيتها عبارة عن محادثة مطولة بين ثلاثة أطراف متحاورة هم المدير الشيخ السعيد بن حافظ، والمعلمان الجلالي والجنان؛ يدور الموضوع الرئيسي للحوار حول تقصير الثلاثة في وصل شيخهم برسالة بعد أن فرق بينهم الدهر، وقد مهد المؤلف لهذه الأرجوزة بمقدمة في ٦ صفحات؛ تحاول رسم صورة عن الأرجوزة وأبعادها الموضوعية والفنية، وهذه الدراسة هي قراءة من منظور تداولي وظيفي لعتبتي: العنوان "رواية الثلاثة"، ولهذه المقدمة.

– محمد البشير الإبراهيمي أديب ومصلح جزائري من مواليد١٤ يونيو ١٨٨٩م بقرية "رأس الوادي" ببرج بوعريرج، تعلم بمسقط رأسه وجامع الزيتونة حتى ألمَّ بجانب من العلوم العربية؛ ثم رحل إلى أرض الحجاز وتعلم وعلم بها، كما درس بالمدرسة السلطانية بالشام، كان واحداً من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٥ ماي ١٩٣١م وترأسها بعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٤٠م، ناضل في سبيل إرساء التعليم العربي الإسلامي وتحرير بلاده إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية؛ فتعرض للسجن والنفي، توفي بعد الاستقلال في٢٠ماي١٩٦٤م، وعن نشاطه العلمي فقد شغل عضوية مجامع اللغة العربية وكان مراسلاً لها وممثلاً عن الجزائر. من آثاره مقالات البصائر في مجلدين و"الأعمال الكاملة لمحمد البشير الإبراهيمي" التي نشرت في ٥ مجلدات، بإشراف نجله د.أحمد طالب الإبراهيمي. ينظر: الإبراهيمي، محمد البشير، **الآثار**،جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٩٧م)، ج٢، من ص٥٩ إلى ص١٠٩.

** العتبات-Seuils- (جيرار جينيت G.Genette)، أو هوامش النص (عند هنري ميتران H. Mitterand) ، أو العنوان بصفة عامة (عند شارل كريفل Ch. Grivel) ، أو النص الموازي عند (جون ديبوا DUBIOS)، وربما هنا كمن أضاف مصطلح "الخطاب المقدمات" أو "النص المصاحب" وقد جاء توظيف هذا الحشد المصطلحي في سياق الاضطراب المصطلحي الذي تشهده الساحة العربية عموماً، والذي ينبع من، الاعتماد على الترجمة القاموسية الحرفية، أو اعتماد المعنى وروح السياق الذي وظف فيه في اللغة الأصلية أو غيرها من الأسباب؛ ينظر: الأزدي، عبد الجليل، "مقدمات نظرية عن الخطاب المقدماتي"، **مجلة فضاءات مستقبلية**، الدار البيضاء، المغرب، ماي١٩٩٧م، العدد٤، ص١٤.

[١] مونقانو، دومينيك، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحياتن، ط١، (الجزائر: منشورات الاختلاف،٢٠٠٥م)، ص٨٤.

[٢] **paratexte**: On appelle paratexte l'ensemble des textes، généralement brefs، qui accompagnent le texte principal. Dans le cas d'un livre،le paratexte pourra être constitué par la page de titre، un avant-propos، une préface، des annexes diverses، une" quatrième de couverture" ; dans le cas d'un article، le résumé (dans la même langue ou en langue étrangère)، les notes، la bibliographie، etc. Dans une pièce de théâtre، la liste des personnages، les indications scéniques، la description des décors sont le paratexte. **Dictionnaire de linguistique، jean DUOIS et autres، Larousse،٢٠٠٢،paris، France، P٣٤٤.**

[٣] مونقانو، دومينيك، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ص٨٥.

[٤] بلال، عبد الرزاق، **مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم**، ط١، (الدارالبيضاء: إفريقيا الشرق،٢٠٠٠م)، ص٣٠.

[٥] انظر: الأزدي، عبد الجليل، "مقدمات نظرية عن الخطاب المقدماتي"، **مجلة فضاءات مستقبلية**، مقال سابق، ص١٦.

[٦] مما جاء في لسان العرب في مادة عنّ: عن الشيء عناً وعنوان: ظهر أمامك، ويعن عنواناً: اعترض وعرض ومنه قول امرئ القيس (من الطويل):
فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجه***عذارى ذوار في ملاء مذيل؛ ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مج٠٤، ص٣١٣.

[٧] الجزار، محمد فكري، **العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي**، ط١، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨م)، ص١٥، ١٦.

[٨] السابق نفسه، ص١٧.

[٩] يعد "ليو هوك" (Leo Hoek)من خلال كتابه (la marque de titre) أحد مؤسسي هذا العلم، لكن يبدو أن شدة اهتمام "جيرار جينيت (G. Genette)" قد أكسبه الفضل وإحراز السبق دون سواه في معالجة نظام العتبات، وذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة، ومن أبرزها "العتبات (Seuils)"، أَطْرَاسٌ (Palimpsestes) ؛ ينظر: حمداوي، جميل، "السيميوطيقيا والعنونة"، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، يناير، مارس،١٩٩٧م، مج٢٥، ع٣، ص ١٠٤، ١٠٥.

[١٠] حمداوي، جميل، "السيميوطيقيا والعنونة"، **مجلة عالم الفكر**، مقال سابق، ص١٠٦.

[١١] انظر: نحلة، أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، د.ط، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م)،ص٥١.

***مما جاء في الصحاح: المقدم ضد المؤخر يقال: ضرب مقدم وجهه. ومقدمة الجيش بكسر الدال أوله ...ينظر: مادة "قدم" في: الجوهري إسماعيل بن حماد، **معجم الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٠٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م)، لبنان، مج٠٤، ص٢٦٠.

[١٢] بلال، عبد الرزاق، **مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم**، ص٣٥.

[١٣] انظر: السابق نفسه، ص٣٧.

[١٤] الأزدي، عبد الجليل، "مقدمات نظرية عن الخطاب المقدماتي"، **مجلة فضاءات مستقبلية**، مقال سابق، ص١٧.

[١٥] المتوكل، أحمد، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية –بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي–**، د.ط (الرباط، دار الأمان،١٩٩٦م)،ص٢٤٧.

[١٦] انظر: الأزدي، عبد الجليل، "مقدمات نظرية عن الخطاب المقدماتي"، **مجلة فضاءات مستقبلية**، مقال سابق، ص١٨.

[١٧] انظر: السابق نفسه،ص١٩.

[١٨] الإبراهيمي، محمد البشير، **الآثار**، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٩٧ م)، ج٢، ص٥٩.

[١٩] السابق نفسه،ج٢، ص٥٩.

[٢٠] السابق نفسه،ج٢، ص٥٩.

[٢١] السابق نفسه،ج٢، ص٦٠.

[٢٢] السابق نفسه،ج٢، ص٦١،٦٢.

[٢٣] السابق نفسه،ج٢، ص٦٣، ٦٤

[٢٤] السابق نفسه،ج٢، ص ٦٥.

[٢٥] السابق نفسه،ج٢، ص ٦٥ .

[٢٦] السابق نفسه،ج٢، ص ٦٦.

[٢٧] السابق نفسه،ج٢، ص ٦٧.

[٢٨] انظر: المتوكل، أحمد، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي**، ص٢٤٨.

المراجع: References

Al-Azdiyy, ʿAbd al-Jalīl, "Muqaddimāt Naẓariyyah ʿan al-Khiṭāb al-Muqaddimātiyy", *Majallah Faḍāʾāt Mustaqbaliyyah*, al-Dār al-Bayḍāʾ, Morocco, May. ١٩٩٧, No ٤.

Al-Ibrāhīmiy, Muḥammad al-Bashīr, *al-Āthār*, ed. Aḥmad Ṭālib al-Ibrāhīmiy, ١st edition, (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmiyy, ١٩٩٧).

Al-Jawhariy Ismāʿīl Bin Ḥamād, *Muʿjam al-Ṣiḥḥāḥ: Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-ʿarabiyyah*, ed. Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār, ٤th edition, (Beirut: Dār al-ʿIlm li al-Malāyīn, ١٩٩٠), Lubnān, Vol ٠٤.

Al-Jazzār, Muḥammad Fikriy, *al-ʿunwān wa Simiyūṭīqā al-Ittiṣāl al-Adabiyy*, ١st edition, (Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li al-Kitāb, ١٩٩٨).

Al-Mutawakkil, Aḥmad, *Qaḍāyā al-Lughah al-ʿArabiyyah fī al-Lisāniyyāt al-Waẓīfiyyah –Binyah al-Mukawwināt aw al-Tamthīl al-Ṣarfiyy al-Tarkībiyy-*, no date (Rabat, Dār al-Amān, ١٩٩٦).

Bilāl, ʿAbd al-Razzāq, *Madkhal ilā ʿatabāt al-Naṣ: Dirāsah fī Muqaddimāt al-Naqd al-ʿarabiyy al-Qadīm*, ١st edition, (Casablanca: Ifrīqiyā al-Sharq, ٢٠٠٠).

Dictionnaire de linguistique, jean DUOIS et autres, Larousse, ٢٠٠٢, paris, France.

Ḥamdāwiyy, Jamīl, "al-Sīmiyūṭīqiyā wa al-ʿunwanah", *Majallah ʿālam al-Fikr*, al-Majlis al-Waṭaniyy li al-Thaqāfah wa al-Funūn wa al-Ādāb bi Kuwait, Jan., Mar., ١٩٩٧, Vol ٢٥, No ٣.

Ibn Manẓūr, *Lisān al-ʿArab*, (Cairo: Dār al-Maʿārif, no date), Vol ٠٤.

Monkano, Dominic, *al-Muṣṭalaḥāt al-Mafātīḥ litaḥlīl al-Khiṭāb*, translator: Muḥammad Yaḥyātin, ١st edition, (Algeria: Manshūrāt al-Ikhtilāf, ٢٠٠٥).

Niḥlah, Aḥmad, *Āfāq Jadīdah fī al-Baḥth al-Lughawiyy al-Muʿāṣir*, no date, (Alexandria: Dār al-Maʿrifah al-Jāmiʿiyyah, ٢٠٠٢).